هل ينتصر الإرهاب في غرب ليبيا

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

الصورة باتت شديدة الوضوح؛ أول أمس الاثنين كان عاصفا في غرب ليبيا، الطيران المسير التركي كان يقصف في كل الاتجاهات، وآلاف المسلحين متعددي الهويات العقائدية الإرهابية، والمرتزقة المستقدمين من شمال غرب سوريا بقيادة ضباط أتراك، كانوا يندفعون تحت الغطاء الجوي التركي للسيطرة على مدن كصرمان وصبراتة. مشاهد الفيديو كشفت لاحقا أن إرهابيي القاعدة من مجالس شورى المناطق الشرقية الفارين من ضربات الجيش في بنغازي ودرنة وأجدابيا، كانوا يقاتلون جنبا إلى جنب مع مسلحي جبهة النصرة، ثم يتجهون إلى السجون لإطلاق نظرائهم في الإرهاب، تحت هتافات التكبير، بينما اتجهت جماعات أخرى لتنفيذ تصفيات ميدانية، واعتقال المئات من السكان المحليين بتهمة مساندة عملية الكرامة، ونهب ما في المنازل قبل إضرام النار فيها.

كان هناك دخان ودم ورغبة في الانتقام، ولهجات متداخلة بعضها من شرق ليبيا وبعضها من غربها، والبعض الآخر من إدلب وريف حلب، ومن بعض دول الجوار، ووجوه سمراء من دول الصحراء الكبرى، ترى في ما يحدث نصرا للإسلام، بينما كانت الأبواق التركية والقطرية والإخوانية عموما، وإذاعات حكومة الوفاق تتحدث عن تحرير أراض ليبية، ولكن ممن؟ من الجيش الوطني الليبي، بل ومن عناصره من أبناء تلك المناطق، ليخرج فايز السراج لاحقا مباركا للغزو، مبتهجا بتمدد الإرهاب تحت غطاء الطيران التركي.

نسي السراج أن مدينة كصبراتة كانت معقلا لتنظيم داعش قبل العام 2017، وأن الأميركان أنفسهم قصفوا مقرا للتنظيم الإرهابي بضواحي المدينة في 20 فبراير 2016، وربما تناسى أن الجيش الوطني هو الذي حرر صبراتة بدعم من أبنائها الوطنيين، وأنه بارك بنفسه ذلك التحرير، وها هو اليوم يبارك عودة الإرهابيين الفارين منها، والذين كانوا يختبئون في جحور الميليشيات في الزاوية، أو موقوفين في سجون طرابلس، قبل أن يطلق سراحهم مقابل الاندماج في الحرب ضد الجيش.

كان الهجوم على مناطق غرب طرابلس منتظرا، منذ أن اقترب الجيش الوطني من معبر رأس جدير الحدودي مع تونس، فلا حكومة الوفاق ولا الميليشيات ولا جماعة الإخوان في البلدين، ولا العرّابين القطري والتركي يقبلان بغلق المعبر. الواقع أن مياها جرت منذ 27 مارس الماضي، تداخلت فيها حسابات إقليمية معقدة، وكان واضحا أن جهات عدة راهنت على عملية أول أمس الاثنين، كان الجيش قد رفض دخول مدينة زوارة المجاورة للمعبر لاعتبارات كثيرة منها أنها المدينة الأمازيغية الوحيدة على الساحل الغربي، وأنه يريد دخولها سلاما لا قتالا، وبذلك أعطى الفرصة للميليشيات كي تنفذ ما تم التخطيط له من داخل غرف العمليات التركية.

كذلك، كان واضحا أن الغزاة الأتراك يستهدفون بالأساس افتكاك قاعدة الوطية الجوية من سيطرة الجيش، وتحويلها إلى قاعدة تركية قريبة من تونس والجزائر، فطرابلس في الأخير ليست سوى منطلق لأهداف رجب طيب أردوغان في المنطقة ككل، خصوصا وأن تلك القاعدة هي الأكبر من نوعها في ليبيا، ويمكن أن تكون خير شعار عملي للهيمنة التركية في شمال أفريقيا.

خلال الأسابيع الماضية، اكتفى الجيش الليبي بالرد على هجمات من قبل المرتزقة الأتراك وميليشيات الوفاق، سواء في ضواحي طرابلس الجنوبية أو في محاور جنوب شرق مصراتة، وذلك بسبب التزامه بالهدنة الإنسانية التي فرضتها القوى الإقليمية والدولية، لكن ما تبين هو أن تلك الهدنة كانت واحدة من أكاذيب المجتمع الدولي العاجز عن وقف الغزو التركي، فطيران أردوغان المسير انطلق ليغطي سماء المنطقة الغربية من بني وليد وترهونة، إلى عين زارة فقاعدة الوطية، ووجد من الخلايا النائمة ومن بعض الخونة من يمده بالإحداثيات لضرب الأهداف المدنية والعسكرية، وكأن مشهد 2011 يتكرر، ولكن بوجه إخواني أردوغاني هذه المرة.

كل المؤشرات كانت تدل على أن غرف العمليات التركية تعمل على توسيع مساحات نفوذ المرتزقة والإرهابيين في غرب ليبيا، مستفيدة من انشغال العالم بجائحة كورونا، وكانت عيون الخلايا النائمة تراقب تحركات قوات الجيش، وتعرف نقاط الضعف الميدانية، لذلك تم تنفيذ عملية الاثنين بسرعة فائقة. هذا الأمر يطرح أكثر من سؤال عن طبيعة التزامات القيادة العامة نحو المدن الموالية لها، فمشاهد الإعدام الميداني والاعتقالات وحرق المنازل والتي شهدتها غريان العام الماضي، وتكررت أول أمس في صرمان وصبراتة تؤكد أن هناك خللا ما، سيجعل بقية المدن والقرى الداعمة للجيش في موقف لا تحسد عليه، فالميليشيات الإرهابية لا ترحم، والقانون الدولي لا يعنيها، والقانون المحلي في يد من يمولها ويرعاها، وكذلك الأمر بالنسبة للمرتزقة المستقدمين من سوريا، وهم في أغلبهم من الإرهابيين المتورطين في جرائم ضد الإنسانية، خيّر العرب أن يسكتوا الذي يحاول الإرهاب أن يصبح جزءا راسخا فيه، وهو ما كاد يتحقق بالفعل في مدن كدرنة وسرت وبنغازي المحررة، وكصبراتة التي تحررت في 2017، وعادت اليوم لتحتضن من سبق لهم الفرار منها.

يقال إن الحرب سجال، ويبدو أن على الجيش الليبي أن يطوي نهائيا صفحة الهدنة الإنسانية، وأن يتجاهل دعوات ستيفاني ويليامز والواقفين وراءها، فالهدنة لم تكن إلا لضرب قواته والتنكيل بأنصاره، ويمكنه اليوم أن يرد الصاع صاعين، وأن يعلن إطلاق معركة التحرير الوطني الكامل ضد الغزاة الأتراك والجماعات الإرهابية.

في مديح الكلاب بمناسبة القرار الصيني

فاروق يوسف
كاتب عراقي

اعتزلت الممثلة الفرنسية بريجيت باردو التمثيل في سن مبكرة، وتفرغت للدفاع عن الحيوانات الأليفة. كانت لا تظهر في صورها إلا وإلى جانبها كلب أو أكثر.

الكلاب تحظى بموقع خاص في مجتمعات انتهت من مسألة حقوق الإنسان باعتبارها نوعا من البداهة المسلم بها.

بعد وباء كورونا أصدرت الصين الشيوعية قرارا اعتبرت فيه الكلاب حيوانات أليفة ولا تصلح للأكل كالماشية. كان ذلك القرار اعترافا علنيا بأن لحم الكلاب كان يمدّ المطبخ الصيني بجزء من خياله.

كانت الصين إذن تربي الكلاب مثلما تربي الخنازير والبقر والخراف. وهو ما يعبر عن علاقة من طراز خاص. "إنهم يأكلون الكلاب" جملة يمكن أن تخرب مزاج أمم وتجعلها غير قادرة على النظر بإنصاف إلى ما حققته الصين من قفزات اقتصادية عبر العقود الثلاثة الماضية.

في سبعينات القرن الماضي شنت الحكومة العراقية حملة لصيد الكلاب السائبة، وكانت هناك مكافأة لمَن يَصيدُ كلبا مقدارها نصف دينار. لا أتذكر الآن الأسباب التي دعت الحكومة العراقية إلى القيام بتلك الخطوة.

وفي كل الأحوال لم تكن علاقة العراقيين بالكلاب حسنة. لم تكن تلك الكلاب من النوع الشرس. كانت كلابا مسكينة تبحث في بقايا الطعام المنزلي، وقد كان يومها مترفا عمّا يدفع عنها احتمال الموت جوعا. غير أن ذلك لم يمنع الأطفال وحتى الكبار أحيانا من مطاردتها ورميها بالحجارة. ذلك السلوك يمكن النظر إليه باعتباره جزءا من القسوة التي تتميز بها الشخصية العراقية.

لذلك رحب العراقيون بقرار حكومتهم ونظموا حفلات صيد لم تكن المساهمة فيها تحتاج إلى مهارة أو شجاعة. فالكلاب لم تكن تتوقع أن تكون هدفا للصيد. حين أقمتُ في أوروبا اكتشفت أن هناك كلابا يفوق ثمنها الألف دولار.

ليس الثمن هو الميزة، ولكن سلوك تلك الكلاب الأنيق والدافئ والراقي كان يسبب لي دهشة مفاجئة في كل مرة ألتقي فيها كلبا. ذات مرة فيما كنت أمارس رياضة المشي في الغابة القريبة من بيتي شاهدت كلبا كبير الحجم وهو ينطلق راكضا في اتجاهي. كانت الطريق ضيقة تحيط بها الأشجار من الجانبين، ولم يكن في الإمكان أن أندسّ بين الأشجار لأسمح لذلك الكلب بالمرور فشعرت بالخوف. غير أن صوتا رقيقا انطلق من مكان ما أوقف الكلب ثابتا في مكانه. كانت صاحبة الكلب قد أمرته بالتوقف فوقف.

اعتذرت المرأة مني فيما مرّ الكلب من جانبي وكان كمَن يعتذر.

مشكلة الكلاب أنها مثل القطط اعتادت أن تعيش قريبا من الإنسان. إنها تعيش في عالمه. وربما لأنها تعتقد أنه يحتاجها. وربما لأنها تحتاج إلى من يرعاها في وحدتها. ولأن الكلب كائن وفيّ منذ أن تعرفت عليه البشرية، فهو لا يتوقع أن يغدر به الإنسان.

كان العراق قد استقبل في سنوات مشاريعه العمرانية عددا من الشركات الكورية. يومها اختفت الكلاب فقيل إن الكوريين هم السبب. ذلك لأنهم مولعون بلحم الكلاب بالرغم من توفر لحوم البقر والغنم في السوق العراقية.

لم نصدق يومها تلك الشائعة. الآن وبعد الاعتراف الصيني يمكنني النظر إلى المسألة بطريقة مختلفة.

لم تكن علاقة الصينيين بالكلاب سيئة مثلما هي علاقة العراقيين غير أنها كانت تنتهي إلى القتل. وفي ذلك تتساوى العلاقتان. غير أن الأسوأ يقع حين يكون القتل الصيني تعبيرا عن الغرام المطبخي. ذلك لأن الصينيين مغرمون بأكل لحم الكلاب.

صدمت الصين العالم بغرام شعبها بالكلاب باعتبارها طبقا شهيا وها هي تتخلى عن ذلك الطبق. المولعون بالذهاب إلى المطاعم الصينية، وهي المطاعم الأكثر انتشارا في العالم، لن يصدقوا أنهم كانوا ضحايا لمكيدة كبيرة اسمها المطبخ الصيني.

أردوغان يكتب نهايته بيده

محمد علي العوني
صحافي تونسي

النرجسية.. حب الذات.. وعظمة الأنا. ثلاث كلمات كفيلة بأن تكتب نهاية أي زعيم سياسي يقع أسيرا لها، وينتهي به المطاف مجرّد ذكرى بين طيات الماضي، وفي صفحات التاريخ دروس وعبر.

لكن يبدو أن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان لم يقرأ التاريخ ولم يعتبر من تجارب سابقيه، فجنون العظمة ألقى بهتلر إلى غياهب ماض أسود، وعنجهيّة نيقولاي تشاوشيسكو وضعته أمام محاكمة شعبية انتهت بإعدامه.

فأي نهاية سيكتبها التاريخ لرئيس استنزف كل إمكانيات بلاده لإشباع رغباته وآماله المعلقة بخيوط الوهم لاسترجاع أمجاد الماضي، من أجل تغطية مركّب النقص الذي بداخله ويلازمه.

إن المتمعّن في سياسات حزب العدالة والتنمية منذ اعتلائه سدة الحكم في تركيا إلى اليوم، يمكن أن يميّز بين مرحلتين. الأولى هي مرحلة التمكين وقد سعى خلالها أردوغان إلى بسط السيطرة على كامل دواليب السلطة بدعم من قيادات مؤسسة الحزب مثل الرئيس السابق عبدالله غول ورئيس الوزراء السابق أحمد داود أوغلو.

أما المرحلة الثانية، فقد أطلق فيها أردوغان العنان لهوسه بالسلطة، متخلّصا من رفقاء الأمس وحصر جميع الصلاحيات بيد واحدة خدمة لنزعة ذاتية تسلطية لا تتردّد في تسخير كل مقدرات الدولة لإشباع رغبات نفس مريضة بعظمة الأنا. الأنا التي فوق الدولة وفوق القانون وفوق الجميع.

كانت البداية من داخل الحزب، فتفرّد برسم توجهات العدالة والتنمية وكانت النتيجة خسارة مدوّية في الانتخابات البلدية لحساب المعارضة، وتصدّع سقف الحزب الحاكم الذي فقد أعمدته بعد استقالة عدد كبير من قيادات الصف الأوّل.

يقول فرويد في مقالته "مقدمة في النرجسية" المنشورة عام 1914، إن الشخصية النرجسية تتميّز بالتعجرف وفرط الحساسية تجاه آراء الآخرين، فهي لا تستطيع تقبل آراء الآخرين بأي شكل، ويستحوذ عليها توهم كاذب في النجاح والسلطة والتألق، وتعتقد أن وظيفتها ضبط الأمور تحت سيطرتها، لأنها على حق والآخرين دائما على خطأ.

معادلة «صفر أعداء» التي طالما تغنى بها النظام التركي سرعان ما انقلبت إلى صفر أصدقاء، وأفقدت أنقرة تحالفات استراتيجية مع دول عربية وازنة في المنطقة كالسعودية والإمارات ومصر

هذا التشخيص النفسي الدقيق لمرض النرجسية وجنون العظمة بات واضحا في حركات الرئيس التركي الذي يرى في نفسه الرجل المناسب في المكان والتوقيت المناسبين، ومن يقول غير ذلك فهو مخطئ ومجرم في حق وطنه ومكانه وراء القضبان، وهو ما يفسّر سياسات تضييق الخناق على حرية الإعلام وإسكات أي صوت معارض أو منتقد لتوجهات الزعيم الأوحد.

تركيا اليوم تدفع ثمن إخفاقات الرئيس التركي بتدخله في الأزمة السورية والملف الليبي والرهان على ورقة الإسلام السياسي بدعم جماعات مسلحة تربطها صلات وثيقة بتنظيمات إرهابية. بات يُنظر إلى أنقرة كمصدر تهديد فعلي للأمن والاستقرار في أي زيارة يقوم بها أردوغان إلى دولة في الشرق الأوسط أو شمال أفريقيا.

التفرّد بالحكم أنتج اقتصادا منهكا لم يعد يحتمل سداد نفقات حرب فوضوية في شمال سوريا، لا طائل منها سوى تكريس المزيد من عزلة أنقرة إقليميا ودوليا، وسخطا شعبيا جرّاء تشويه أردوغان لسمعة المؤسسة العسكرية بإرسال مرتزقة سوريين يحاربون في ليبيا باسم الجيش وباسم الدولة التركية.

المصاب بجنون العظمة يمكن أن يفسّر كل الوقائع التي تدور من حوله على أنها مؤامرة تقودها بلدان أو منظمات دولية للإيقاع به، وهو ما ينطبق على سياسات الرئيس التركي الخارجية التي ترتكز بالأساس على الابتزاز والمساومة.

فمعادلة "صفر أعداء" التي طالما تغنى بها النظام التركي سرعان ما انقلبت إلى صفر أصدقاء، وأفقدت أنقرة تحالفات استراتيجية مع دول عربية وازنة في المنطقة كالسعودية والإمارات ومصر.

وباتت إخفاقات نظام أردوغان الخارجية تلقي بظلال سوداء على الوضع في الداخل التركي، فسياسة الأيادي المرتعشة والتخبط الحكومي حيال مجابهة تفشي فايروس كورونا تؤكد مدى إفلاس النظام، ولم يعد مستبعدا أن ترسم هذه الجائحة طريق النهاية أمام أردوغان في ظل تصاعد أصوات معارضة لسياساته العقيمة في التصدي لهذا الوباء، وتغليبه المصلحة الاقتصادية على حساب صحة الأتراك.

محاولة الانقلاب الفاشلة كانت فرصة أمام النظام التركي لدراسة دوافع هذا التمرّد ومراجعة السياسات العامة من أجل التدارك، ولكن أردوغان سطّر طريق نهايته بيده بمضيّه في سياسة الهروب إلى الأمام وإمعانه في حملته القمعية مستغلا الحادثة لتصفية خصومه في الجيش، ممّا عمّق أزمة الثقة بين المؤسسة الأمنية والعسكرية وغذّى مشاعر الخوف والقلق لدى الأتراك.

ففي الوقت الذي خُيّل لأردوغان أنه يمسك بيد من حديد زمام السلطة في تركيا، بدأ الوضع يخرج عن السيطرة وكان التمرّد من داخل الجيش أول المؤشرات.. وأول خطوة نحو الهاوية.

لقد أغفل الرئيس التركي في طريق البحث عن السلطة والمجد حقيقة أن من يريد كل شي يخسر كل شيء.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk